

خطاظة توضيحية درس الشخص

يعتبر مبحث الوضع البشري بمثابة المجال الفكري و الفلسفي الذي يهتم بتحليل و دراسة وضع الإنسان في هذا الوجود باعتباره وضعاً معقداً و غنياً، تتداخل في تحديده عدة أبعاد: منها ما هو ذاتي، أي ما يميز الكائن البشري كذات عن باقي الكائنات، و ما هو علانقي أي البعد الذي يبدو من خلاله الإنسان كائناً اجتماعياً يتفاعل باستمرار مع الغير.

و في إطار البعد الذاتي يبرز مفهوم الشخص الذي يشير إلى الذات الإنسانية بما هي ذات واعية ومفكرة من جهة، وذات حرة ومسؤولة من جهة أخرى. إذا كان الكثير من الفلاسفة قد ركزوا على جانب الفكر والوعي باعتبارهما يمثلان جوهر الشخص البشري، فإن هناك أبعاد أخرى تميز هذا الكائن؛ بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية وغيرها. فالشخص له صفات جسدية متغيرة، كما أن له حياة نفسية متقلبة، ثم إنه حيوان سياسي وأخلاقي، محكوم بروابط وعلاقات مع الغير.

الشخص بين
الضرورة

هل يعتبر الشخص كياناً حراً مستقلاً عن أي إلزام أو إكراه، أم أنه خاضع لضرورات وحتميات لا سبيل لديه للانفلات من رقابته؟ هل حرية الشخص مطلقة أم أنها مشروطة و نسبية؟

الشخص بوصفه
قيمة

أين تكمن قيمة الشخص؟ هل تكمن في كونه غاية أم أنه لا يعدو يكون مجرد وسيلة؟ هل يستمد قيمته من ذاته أم خلال إنفتاحه على الغير؟ هل قيمته مطلقة أم أنها مشروطة؟

الشخص
و الهبة

ما أساس هوية الشخص؟ ما الذي يجعل الشخص هو هو؟ هل يرجع تطابق الشخص مع ذاته إلى التفكير، أم إلى الإحساس، أم إلى الإرادة؟ هل هويته ثابتة أم أنها متغيرة؟

-يعتقد اسبينوزا أن الشخص ليس حراً بل يتوهم الحرية، ففي كتابه "رسالة في اللاهوت و السياسة" يؤكد أن الإنسان خاضع لضرورة طبيعية، لا يملك خياراً أمامها، و يعتقد أنه حر لأنه يدرك أنه يقوم بالفعل لكنه يجهل السبب الذي يدفعه للقيام به، و يقدم أمثلة على ذلك من بينها مثال الحجر الذي يتحرك بفعل قوة خارجية، فلو امتلك الوعي لاعتقد أنه هو الذي يقوم بالفعل بحرية لأنه يجهل السبب المحرك، و الأمر نفسه بالنسبة للإنسان، فالجبان يعتقد أنه يهرب بشكل حر غير أن الضرورة الطبيعية المتمثلة في الخوف هي التي تدفعه لذلك، و في هذا الصدد يقول سبينوزا الحرية هي وعي الضرورة أي أن تكون حراً معناه ان تدرك أنك لست حراً بل خاضع للضرورة

-يؤكد سارتر ان الإنسان كائن حر يمتلك من الحرية ما يجعله قادراً على تحمل مسؤولية ما يقوم به من أفعال، بل إن حريته ليس لها حدود، لأنه محكوم عليه بالحرية، في كتابه الوجودية نزعة إنسانية، يؤكد سارتر أن الإنسان لن يكون إلا وفق ما سيصنع بنفسه، و كما يريد أن يكون، و يشبهه بالمشروع لأنه ينفذ على المستقبل، و يملك إمكانيات عديدة لتجاوز الوضع الحاضر، و ذلك لأنه كائن حر متحمل لمسؤولية فعله، كما يؤكد أن وجود الإنسان يسبق ماهيته، مما ينتج عنه حريته و مسؤوليته الكاملة و المطلقة عن هذا الوجود

-يرى إمانويل موني أن الشخص لا يحقق وجوده مع الآخرين في إلا إطار الفعل الحر المتجدد، فحرية الشخص موجودة في ذاته، وهي مشروطة بالوضع الواقعي له، وهي لا تتحقق إلا عندما يتجه الإنسان نحو التحرر في إطار التشخص، أي الخروج بالذات من عزلتها وفرديتها والاتجاه نحو الشخص عبر الانفتاح على الآخرين والتواصل معهم، وتحمل مصائرهم و آلامهم بكل كرم ومجانية.

يذهب **كانط** إلى تأكيد أهمية الشخص كذات لعقل أخلاقي علمي، يعامل الآخرين لا كوسائل يحقق من ورائها أغراضه الخاصة، وإنما كغايات ب ذاتها. فالإنسان يتميز داخل نظام الطبيعة عن باقي الكائنات الأخرى بامتلاكه لملكة الفهم، وقد استطاع أن يرسم لذاته غايات وأهدافاً مشروطة ببناء الواجب الأخلاقي. فيمكنه أن يتخذ من الأشياء وسائل يستخدمها لتحقيق أغراضه لكن ليس من حقه أن يعامل الأشخاص كوسائل ذاتية نفعية، لأن الإنسان أو الذات البشرية هي غاية في ذاتها وليست وسيلة لتحقيق أغراض الآخرين، وهذا ما يمنحه قيمة داخلية مطلقة ويكسبه احتراماً لذاته و يمتلك بذلك كرامته الإنسانية

أما **هيجل** فيكشف عن القيمة الأخلاقية للشخص التي لا يمكنها أن تتحقق إلا داخل حياة المجموع، فكل شخص حسب هيجل وانطلاقاً من المكانة التي يحتلها داخل الجماعة التي ينتمي إليها عليه الالتزام بواجباته والقيام بدوره والمهام التي أسندت له ... إنها دعوة للانفتاح على الواقع والآخرين من خلال علاقة جدلية أساسها التأثير والتأثر ومعياريها يكمن في السلوك الأخلاقي الذي يصدر عن كل شخص امتثالاً للواجب الأخلاقي

يرى **جون راولز** أن قيمة الشخص تتمثل أساساً في مواطنته التي تقتض أن يتحول إلى فرد فاعل في المجتمع، متفاعل مع الآخرين على أساس مبدأي الحق والواجب. لأن المجتمع الديمقراطي – في منظور راولز – يشترط أن يقع التعامل مع الأفراد باعتبارهم أحراراً ومتساويين، وانطلاقاً من كفاءاتهم التي تقبل الاختزال في كفاءتين هما: امتلاك حس للعادلة، والتوفر على حس معين للخير. ولا يتحدد مفهوم الخير في تعاون بسيط في إطار الحياة الاجتماعية، لأنه يمتد إلى ماله قيمة في الحياة الإنسانية. ومن هذا المنطلق، يؤكد الفيلسوف أن قيمة الشخص تتحدد في ضرورة الانفتاح على الغير، وبالتالي احترامه لمختلف التعاقدات والالتزامات.

نجد الفيلسوف الفرنسي **رونيه ديكارت** في العصر الحديث، يؤكد على أهمية "الفكر" في بناء و فهم حقيقة الشخص. و دعى في المقابل إلى تجنب الحواس لأنها خادعة و توقع في الخطأ. فالنفس عند ديكارت جوهر قائم بذاته، خاصيته الأساسية "التفكير". و هو ما يشكل الهوية الشخصية للكائن البشري. بل إنها صفته الأكثر يقينية و الأكثر صموداً أمام أقوى عوامل الشك. لذلك فالشخص عند ديكارت هو بمثابة "أنا" مفكر. و الهوية الشخصية تنحصر أساساً في الفكر المجرد، لأنه هو الأمر اليقيني الذي لا يطاله الشك.

و في مقابل ديكارت نجد الفيلسوف الإنجليزي **جون لوك** ذو النزعة التجريبية يعرف الشخص بوصفه كائناً مفكراً عقلاً، يملك القدرة على الرجوع إلى ذاته باستمرار و تعقلها و تأملها في وحدتها و مطابقتها لنفسها، بواسطة الإدراك الحسي. حيث أن الفلسفة التجريبية لا تقر لشيء بصفة واقعية و الحقيقة ما لم يكن إحساساً أو مستنبطاً من إحساس. و عليه فالهوية الشخصية ليست سوى ذلك الوعي أو المعرفة المصاحبة لإحساساتنا. يرى جون لوك أن ما يجعل الشخص "هو هو" عبر أزمنة و أمكنة مختلفة، هو ذلك الوعي الذي يصاحب مختلف أفعاله و حالاته **الشعورية** من شم و تذوق و سمع و إحساس و إرادة... تضاف إليها **الذاكرة** التي تربط الخبرات الشعورية الماضية بالخبرة الحالية. مما يعطي لهذا الوعي بالإحساس استمرارية و ديمومة، فتتشكل بذلك "الأنا" كذات مطابقة لذاتها أي لها هوية.

يربط الفيلسوف الألماني **شوبنهاور** هوية الشخص بالإرادة. **إرادة الحياة** التي تظل ثابتة فينا حتى عندما ننسى و نتغير كلياً. من هنا ينفي شوبنهاور ان تكون هوية الشخص متوقفة على مظاهره الجسمية لأنها خاضعة للتغير. كذلك يرفض ربط الهوية بالذاكرة و الشعور، لأن معطيات الشعور في تغير دائم و أحداث الماضي يمتزجها النسيان بفعل تلف الذاكرة بسبب الشيخوخة أو المرض. كما أن الإنسان قد ينقطع في بعض الحالات عن التفكير. فالعنصر الثابت فينا إذن، و الذي يشكل أساس هويتنا و نواة وجودنا، هو الإرادة حسب شوبنهاور هو الإرادة. إنها إرادة الحياة التي تظل ثابتة و تشكل الذات الحقيقية المحركة لوعينا.